DİA için gözden geçirildi

الرد الجميل للإمام الغزالي

حققه وقدم له وعلق عليه
وترجم مقدمات الأب دوبيه شيخاني للنشرة الأولى
لهذه الرسالة

عبد العزيز عبد الحق حامي
الأمين العام المساعد سابقا لمجمع البحوث الإسلامية

القاهرة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م

Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Ansiklopedisi

تقديم

لفضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم ، والصلاة والسلام على من أوتى فصل الحكم وجوامع الكلم وآله وصحبه الذين اهتدوا بهديه وساروا على أثره — ومن تبعهم ممن أناروا السبيل بمشاعل العلم ومصابيح المعرفة فقادوا الناس إلى الهدى والرشاد ، وانطلقوا بهم على محجة الحق والسداد ، وجنبوهم مزالق الفتنة ومهاوى الضلالة : فسلمت للناس عقيدتهم وصحت لهم شريعتهم ، فكانوا على بينة من أمر دينهم عقيدة وشريعة ، فقد أقاموا بعلومهم وعقولهم صرح الدين وعموده ، وحفظوا لنا نتاجهم وتراثهم ينير الطريق ويأخذ بيد المسلمين على أساس ثابت من العلم ، وأصل مكين من المعرفة فجزاهم الله عن دينهم وأمتهم — جيلا بعد جيل — ماهم له أهل من خير الجزاء .

وبعد

فإن مجمع البحوث الإسلامية إذ يقدم للقراء فى مشارق الأرض ومغاربها . كتاب « الرد الجميل » للإمام الغزالى . وهو من هو علما بأصول العقائد وفروع الشرائع ليس فى كبير حاجة لا إلى التعريف به

ولا إلى ماحتواه كتابه «الرد الجميل» فإن عنوان الكتاب يحمل فى معناه محتوياته فإنه «الردالجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل» وأبوحامد محمد الغزالى إمام من أئمة العقيدة، وفقيه من فقهاء الشريعة، وعلم من أعلام الفلسفة. ضرب بسهام كثيرة فى كل علم فلم يقصر وألقى بدلائه فى استقاء الفنون فكانت دلوه أملأ الدلاء وإن لم تكن أبطأها. فلم يحظ إذن الغزالى بلقب حجة الإسلام عفواً، ولاحفظ التاريخ عبر سنينه الطوال علمه وكتبه مجاملة وتحيزا.

وكتابه الذى نقدمه للقارئ اليوم رسالة فى القمة من الفلسفة الإسلامية وأصل من أصول الجدل الإسلامى العميق، وصورة صادقة لما كان ولما ينبغى أن يكون عليه الجدل الإسلامى والفكر الإسلامى، والعقلية الإسلامية فى فلسفتها الصحيحة وهو منه – فيما نعلم – منهج لم يسبق إليه دقة وعمقاً.

أما التعريف بالكتاب نفسه ففى المقدمة التى دبجتها يراعة المحقق الفاضل الأستاذ عبدالعزيزعبد الحق حلمى الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الإسلامية سابقاً – الغنية والكفاية فقد بذل سيادته فى تحقيق الكتاب والتعليق عليه جهداً مشكوراً، فقد فتح مغاليقه وأوضح مشاكله وصحح نسبته لصاحبه وسط خضم المفتريات. وعجاج الاضطرابات والمعميات فكشف بذلك الغطاء عن حقيقته، وهدى القراء إلى سلامة وضعه وصحة نسبته.

فجزى الله المؤلف عن دينه ماهو أهل له من جميل الجزاء. وجزى العاملين فى حقول العلم. وميادين التعريف بالإسلام وتراثه ورجاله خيرالجزاء.

والله المسئول أن ينفع به ويرزقنا المزيد من التوفيق لخدمة دينه والمحافظة على سنة نبيه بإحياء تراثنا. والحفاظ على مجدنا العلمى الإسلامى فإنه الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

د محمد عبد الرحمن بيصار
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية لرسالة الرد الجميل

نقدم إلى القراء فى العالم العربى هذه الرسالة النادرة[1] المنسوبة إلى الإمام أبى حامد الغزالى ، التى يرجع الفضل فى كشفها إلى المستشرق الفرنسى العلّامة لوى ماسينيون[2] ، إذ اهتدى إلى نسختين خطيتين

---

(١) وصفها محققها الأب روبير شدياق بعد عام واحد من نشره لها بأنها رسالة غريبة لم تكن معروفة من قبل . انظر إضافاته لكتاب الأب هنرى لامنس « الإسلام : عقائده ونظمه » . بيروت سنة ١٩٤٠ م (ص ٣٠٨) وهى الطبعة الثانية لهذا الكتاب التى قام بتحريرها الأب شدياق بعد وفاة لامنس فى سنة ١٩٣٧م.

(٢) العلامة لوى ماسينيون من أعلام المستشرقين الفرنسيين ، وهو أشهر من أن يعرف به . ولد سنة ١٨٨٣ م وفقدته الدراسات العربية والصوفية فى سنة ١٩٦٢ م ، تميزت حياته بوفرة الإنتاج ونفاذ البصيرة فى البحث وتعدد الموضوعات التى تناولها . وأخيراً بمحبته للعرب والمسلمين حتى قيل فى وصفه إنه أكثر المسيحيين إسلاماً وإنه نزل ضيفاً على معاقل الثقافة العربية ولم يعن كغيره بتسقط عوراتها . وجدير بعارفى فضله من أبناء البلاد العربية وخاصة ممن تتلمذوا عليه أن يؤلفوا كتاباً فى سيرته وتحليل آرائه ودراساته قضاء لحقه وعرفاناً بجميله .

واشهر مؤلفات ماسينيون التى تخلد ذكراه كتابه الضخم عن الحلاج الذى يعد نموذجاً رفيعاً للدقة فى البحث والاستقصاء حتى صار من المعالم البارزة الدالة على ما بلغته الدراسات الصوفية الإسلامية فى الغرب من تقدم وتعمق . وقد استغرق المؤلف فى جمع مادة كتابه وتأليفه خمسة عشر عاماً إلى أن نشره فى باريس سنة ١٩٢٢ م فى مجلدين يقعان فى نحو ألف ومائة وعشرين صحيفة ، رجع فيه إلى مالا يحصى كثرة من مصادر أغلبها مخطوط ، مما يجعل ترجمته إلى العربية شاقة وعسيرة ، نظراً للحاجة إلى إثبات النصوص العربية منها مما ترجمه ماسينيون إلى الفرنسية مستشهداً به فى ثنايا كتابه .

ويقول المستشرق الإنجليزى الراحل آرثر آربرى — الذى كان متخصصاً فى التصوف الإسلامى ومن تلامذة العلامة نيكلسون — وهو يعبر عن رجائه فى ترجمة كتاب الحلاج إلى الإنجليزية ، وذلك فى كتابه : مقدمة فى تاريخ التصوف الإسلامى (لندن سنة ١٩٤٢ م ص ٤٧) « إن اللغة الفرنسية الفلسفية بها من المزالق مالا يقوى على ملافاته من لم يكن حذراً من الأجانب الذين ليست لهم خبرة كافية بهذه اللغة » .

منها فى مكتبة أيا صوفيا فى القسطنطينية ، ثم كتب وصفاً لهما مُزَوَّدا بمقتطفات منهما ، نشره فى الجزء الرابع من مجلة الدراسات الإسلامية فى باريس سنة ١٩٣٢ م ، وبذلك لفت أنظار دوائر الاستشراق والأوساط العلمية إلى وجود هذه الرسالة التى تكشف عن ناحية كانت لاتزال مجهولة فى تفكير الغزالى وكتاباته الجدلية .

ثم نهض بعد ذلك الأب روبير شدياق اليسوعى بتوجيه من أستاذه ماسينيون بتحقيق النص العربى لهذه الرسالة بمقابلته على نسختيها الخطيتين ، بيد أنه حدث قبيل تقديم نسخته المحققة للطبع أن اهتدى بدوره إلى نسخة خطية ثالثة كانت مُدْرَجة فى فهرست مكتبة

= وكتاب ماسينيون عن الحلاج أشبه بموسوعة صوفية لأنه علاوة على دراسته للحلاج أرخ لحركة الزهد والتصوف حتى نهاية القرن الثالث الهجرة . ومراجع ماسينيون فى هذا الكتاب تستغرق وحدها أربعاً وسبعين صحيفة من الطباعة المكتنزة . ويذهب ماسينيون إلى إرجاع التصوف الإسلامى إلى أصول من الكتاب والسنة ، على عكس المستشرق الأسبانى آسين بلا ثيوس (١٨٧١ — ١٩٤٤ م) الذى يرجعه إلى مؤثرات مسيحية .

ولماسينيون بحث قيم آخر فى نشأة المصطلحات الصوفية نشره أيضاً فى باريس فى سنة ١٩٢٢م وأعيد طبعه فى سنة ١٩٥٤ م وكان ماسينيون مشرفاً على مجلة الدراسات الإسلامية منذ سنة ١٩٢٧م ومحرراً لتقويم العالم الإسلامى ، كما كان عضواً فى هيئات علمية كثيرة : منها مجمع اللغة العربية فى القاهرة . وله من الأبحاث مالايتسع المقام لذكره ، منها نشره لنصوص عربية خاصة بالحلاج حققها وعلق عليها مثل كتاب الطواسين وأخبار الحلاج وديوانه .

وقد حلل آراء ماسينيون وكتاباته مع أربعة آخرين من المستشرقين وهم جولدتسيهر وهيرجرونيه وبكر ومكدونلد ، الأستاذ جان جاك واردنبرج J.J. Waardenburg فى كتابه الضخم : « الإسلام فى مرآة الغرب » باريس سنة ١٩٦٣ م كما أورد ثبتاً ضافياً بمؤلفاته مرتبة ترتيباً زمنياً وموضوعياً (ص٣٤٥ : ٣٥١) . وانظر أيضاً مقالين موجزين عن ماسينيون لمحمد الطالبى وأحمد بكير فى مجلة الفكر التونسية عدد يناير سنة ١٩٦٣ م ص ١١ : ١٥ ومقالا ثالثاً عنه بقلم أحمد بنانى فى مجلة البينة المغربية عدد ديسمبر سنة ١٩٦٢ م ص ٥٠ : ٥٧ .

جامعة ليدن بهولنده على أنها مجهولة المؤلف ، فاستكمل تحقيقه للنص بمقابلته عليها . ثم ترجمه إلى الفرنسية وقدَّم له بمقدمات ضافية تلقى كثيرا من الضوء على مضمون الرسالة وظروف تأليفها ، علاوة على ثبت ضخم بالمراجع التى رجع إليها ومعجم بالألفاظ الاصطلاحية ونشر مجموع ذلك فى باريس فى سنة ١٩٣٩ م .

ولايسعنا هنا إلا أن ننوه بفضل كل من الأب شدياق وأستاذه ماسينيون ، كما نُعَبِّر عن إعجابنا بمحقق الرسالة الذى لم تمنعه صفته الدينية كراهب يسوعى من أن يُعْنَى بإحياء أثر عربى من آثار الأدب الجدلى والدفاعى عن الإسلام يتضمن رداً على عقيدته . ونحن بمثل هذه الروح نقدم على إعادة نشره للقراء فى العالم العربى لالبعث مجادلات دينية لاطائل تحتها إزاء مشكلات العصر الحديث وإنما لتتبع إحدى نواحى التفكير الدينى فى الثقافة العربية التى لم تبتعد عَمَّا دعا إليه الإسلام من توكيد مبدأ التسامح وتوثيق مشاعر الألفة بين المسلمين والمسيحيين . ورغبةً منا فى إفادة القراء العرب قمنا بترجمة مقدمات الأب شدياق التى صَدَّر بها تحقيقه للرسالة وذيلنا كلًا من النص والمقدمات باليسير من الشروح والتعليقات .

ثم وجدنا أن رسالة الرد الجميل بعد مضى أكثر من ثلث قرن على ظهور طبعتها الأولى فى حاجة إلى مقدمة جديدة نَعْرض فيها لما جَدَّ من الدراسات عن سيرة الغزالى ومؤلفاته بالقدر الذى يعين على تحديد نسبة هذه الرسالة إلى الغزالى وظروف تأليفها ، ثُمَّ نراجع ماجاء فى المصادر العربية ، ونختمها بوضع رسالة الرد الجميل فى سياق ما سبقها من رسائل مماثلة .